

الإمام طاهر بن رضى الدين الدكني الحسيني

(حدود ٨٨٠ هـ - ٩٥٦ / ١٤٧٥ - ١٥٤٩ م)

ضوء على سيرته وموقعه من الامامة الاسماعيلية^(١)

محمد سعيد الطريحي

الملا السيد طاهر بن رضى الدين بن طاهر بن رضى الدين بن محمد بن مؤمن شاه الذي ينحدر نسبه إلى نزار بن المستنصر (ال خليفة الفاطمي) المنتهي نسبه الى سيدنا اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين السبط عليهم السلام.

بعد انقراض الدولة الفاطمية بمصر هاجرت الاسرة الملكية الفاطمية الى ايران وتأسست هناك دولة آلوت الاسماعيلية النزارية وبعد انهيار دولة آلوت على يد المغول هاجر آخر ائمة الاسماعيلية شمس الدين الى تركيا واستوطن (قونية) وذلك بعد أن توسط له نصير الدين الطوسي لدى (هولاكو) ضمن اقليم قزوین على حدود جيلان وبعد أن هدأت الأمور رجع الى ايران واتخذ من (قرية خوند) ضمن اقليم قزوین على حدود جيلان موطناً له ، وبها مات وخلف ثلاثة أولاد وهم :

مؤمن شاه (جد المترجم له) وقاسم شاه (الجد الأعلى للشاه حسن علي الذي لقب نفسه بالأغا خان الأول واصبح رئيساً للفرع الاسماعيلي الحالي المسمى بالأغا خاني) ، وكيا شاه . وقد عرفت الاسرة في بلاد فارس بالسادات الخواندية نسبة الى القرية التي سكنها جدهم المذكور . كانت ولادة طاهر بن رضى الدين في ايران (لم يعرف مكان الولادة بالضبط ولعله في همدان أو شیراز) وذلك حدود سنة ٨٨٠ هـ .

درس على أبيه الذي كان وريثاً للأسرة الملكية الفاطمية الشهيرة والامام الشرعي لدى طائفة واسعة من اتباع الامام اسماعيل بن الامام جعفر الصادق عليه السلام ، وبالإضافة الى دراسته على يد أبيه هذا فقد كان من اساتذته في الحكمة والكلام :

المحقق محمد بن أحمد الخضري، واستطاع في فترة وجيزة ان يبرز بين أقرانه العلماء وأصبح لديه كرسي للدراسات العليا كان من وجوه طلابه شقيقه جعفر شاه وحسن الجواد ، وملا محمد نيشابوري، وملاً حيدر الأستر آبادي وحسن المشهدي ، وملاً على كلشني الأستر آبادي . وملاً ولي محمد، وملاً رستم الجرجاني ، وملاً علي المازندراني ، وأبو البركة ، وملاً عزيز الله الكيلاني، وملاً محمد الأستر آبادي، والقاضي زين العابدين، وقاضي العسكر، وعبد الحق كتابدار. ومولانا عبد الأول والقاضي محمد نور أفضل خان، وعبد الله القاضي، وفي الهند السلطان

(١) ورقة قدمها الباحث في مؤتمر الدعوة الفاطمية، الذي عقد في مدينة انتبي في جمهورية اوغندا، اكتوبر ٢٠٠٧، برعاية الجمع العلمي للأشراف، والمعهد الفاطمي التابع لأكاديمية الكوفة واتحاد المؤرخين العرب.

برهان نظام شاه، ومعلمه ملا بير محمد الشيرواني السني، الذي قرأ المجسطى على شاه طاهر مدة سنة في قلعة بريندا .

وحين اشتهر أمره في ايران اتصل به الشاه اسماعيل الصفوي وقربه اليه ثم اشهر اعتناقه للمذهب الامامي الاثني عشري وبعدها جرت القطيعة بينه وبين السلطان الصفوي فأبعده الى (كاشان) وفي رواية الى (جرجان) ، فواظب فيها على التدريس في علوم الفلسفة والعرفان والمنطق والشريعة بالإضافة الى العلوم الغربية المتداولة في عصره كالجفر الجامع والرمل وغيرها، وكانت أخباره لا تريح السلطان الذي أمر بنفيه. ونصح صديقه الوزير ميرزا حسين اصفهاني بالاختفاء وهكذا توجس (طاهر شاه) من السلطان شراً فهاجر مع أسرته وعدد من اتباعه الى الهند وركبوا سفينة رست بهم عند ساحل مدينة كوه Goa بعد رحلة مجهدة نجوا فيها من سيطرة القراصنة البرتغاليين ، وذهبوا بعد أيام الى مدينة بيجابور عاصمة الدولة العادل شاهية، واتصل المترجم به بالسلطان اسماعيل عادل شاه ولم يجد عنده الرعاية التي كان يأملها وقد تكون سببته أخبار اختلافه مع السلطان الصفوي فأعرض عنه (ربما) حفاظاً على المصالح التي تربط بيجابور بالدولة الصفوية، وقد يكون سبب هذا الاعراض توجهات السلطان اسماعيل عادل شاه العسكرية ورغبته عن أهل العلم.

لكن طاهر شاه لم يعدم من يحتضي به في هذه الدولة الشيعية فطاب له المقام بها عدة اشهر ولما حان موسم الحج سافر الى الحجاز وادعى الرغبة لأداء فرائض الحج ، وهناك توثقت صلته بأمرأ من اقليم الدكن رغبوه في العوده الى جنوب الهند ، فعاد معهم وسكن في قلعة (بريندا) التي كانت تحت ادارة مخدوم خواجه جهان الذي رحب به وقربه اليه وعهد اليه بتربية اولاده وتعليمهم ، وبلغ مسامع السلطان برهان (الأول) نظام شاه (١٥١٠-١٥٥٣) خبر العلامة طاهر شاه، وما يتمتع به من علم وفضل وحكمة فأحب لقياءه ، ووجدها طاهر شاه فرصة لئن يحتل مكانه اللائق في تلك الامارة الناشئة وهي في أوج شبابها وعنفوانها ، فانتقل الى أحمد نكر واستقبله الحرس الملكي على الحدود يتقدمهم اعيان الدولة ثم حظي بمقابلة السلطان الذي أعجب به وزاده اكراماً وخصه بالمحبة المستديمة وخصص له كرسيًا في مجلسه الملكي ،وبلغ من تقدير السلطان لعلمه انه كان يحضر مجلس درسه الذي كان يقيمه في المسجد مرتين في الاسبوع .

وهكذا نمت تلك العلاقة نمواً مضطردا، وزادت من اعتقاد السلطان بقداصة هذا الرجل وصدقه وحججه القوية من أجل العقيدة وعلومه الجمة وتبحره في علوم القرآن الكريم ، والسنة الشريفة وأقبل هذا السلطان على علوم أهل البيت (ع) فرزقه الله عقلاً واعياً «وصادف قلباً خالياً فتمكنا» واتخذ مذهبهم مسلماً وتشيع السلطان سنة ١٥٣٧ مع أهل بيته وخاصته وخدمه ومن معه من الأحباش وأصحاب الوظائف الذين بلغ عددهم بالآلاف، وأخذ يدعو في خطب الجمعة والأعياد للائمة الاثني عشر عليهم السلام ويحيى مناسباتهم ومواسمهم ويروج مذهبهم .

ولما بلغ ذلك ايران ابتهجت البلاد لهذا الفتح المبين فارسل السلطان هدايا عجيبة الى أحمد نكر، سلمها سفيرها الخاص الى السلطان برهان الأول وبادله السلطان المذكور الهدايا والتحف ، ولا يمكن ان نجرد تلك الهدايا المتبادلة عن مغزاها السياسي والديني ، فقد تبع ذلك هجرة المئات من القادة العسكريين والعلماء والمغامرين من شيعة ايران والعراق وجبل عامل

والحجاز والبحرين والعراق الى الدكن ، وفيها عملوا وعاشوا وعن طريقهم انتشر مذهب اهل البيت وكثر اتباعه وحافظ على وجوده الذي بقي مزدهرا حتى هذا اليوم .

طاهر شاه بين الاسماعيلية والامامية

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في دراستنا لهذه الشخصية هو السبب الذي دعا طاهر شاه الى هجر مذهب آبائه واجداده واقصد المذهب الاسماعيلي، خصوصا وانه لم يكن شخصا عاديا من اتباع هذا المذهب ، بل كان الشخص الأول الواقف على هرم رئاسته ، وليس بين أيدينا من المراجع التي تعيننا على فهم الهدف وتوضيح السبب ، فان كان الظن هو التقرب الى الصفويين لكنه اختلف معهم اختلافا كبيرا ، وبالتالي فما حاجته الى البقاء على اماميته ؟ والاصرار على تبليغه بمذهب الشيعة الاثني عشرية حين انتقل الى جنوب الهند وبعد أن أطمأن على حياته وأمن على نفسه فهو والحال هذه كان يمكن له اظهار ما كان يضمه من مذهب الاسماعيلية ولو حصل ذلك لظهر اثره في الدكن ولأصبح ملكها اسماعيليا مع من اعتنق الشيعة كمذهب من عامة الشعب ؟

وان كان الظن هو الاعتقاد بمذهب الامامية عن اعتقاد وتصديق واقتناع فيما ظهر له من الحقائق والحجج خلال دراساته ومطاراته عند تحصيله في ايران ، فما هو السبب لاستمرار امامة الاسماعيلية النزارية (المعروفة اليوم باسم المؤمنية) في ولده الأكبر شاه حيدر ، والذي كان (بدون شك) داعيا اسماعيليا ، ولد في أحمد نكر (الهند) ودرس بها على والده ولاهميته الاعتبارية دعاه السلطان الصفوي الى ايران وكلفه بسفارة الى الدكن، وبعد وفاته استمرت الامامة الاسماعيلية في نجله صدر الدين ثم تابعت سلسلتها في اولاده واحفاده حتى القرن الثالث عشر الهجري بعد أن انقطعت اخبار الامام محمد الباقر بن حيدر، (من أحفاد شاه طاهر) الذي كان يسكن جنوب الهند. وباعتقادي انه لم يتخلى عن اسماعيليته تماما ، ولم يجد الوقت المناسب لاطهارها خلال حياته وقدعمل بالتقية الشديدة لأجل اخفاءها لكنه غرس بذورها في أهل بيته وربما في القليل من اتباعه الخالص الذين ضاقت به السبل وتفرقت بها المنافي وهكذا نمت وترعرعت من جديد بعد أن اوصى بامامة ابنه الأكبر الشاه حيدر فاعلن امامته من غير ريب بعد أن اختلف الزمان وتهيات له من الاجواء الملائمة ما لم يتهيا لأبيه من قبل وهكذا كان سر هذا الامام الاسماعيلي في الستر والعمل من وراء الحجب درءا للاخطار وتجاوزا لما مر به وجماعته من اضطهاد كاد يستأصلهم فحافظ على وجودهم حتى وفاته في (أحمد نكر) سنة ٩٥٦ هـ دفن فيها مؤقثا لأنه أوصى بنقل جثمانه الى كربلاء المقدسة وقد نقل اليها فعلا . حسب وصيته . ودفن على بعد متر ونصف من قبر سيد الشهداء الحسين السبط عليه السلام .

وقد خلف مجموعة من الكتب منها :

❖ شرح الباب الحادي عشر (في علم الكلام)

❖ الحيدرية في شرح الجعفرية (في الصلاة كتبه سنة ٩٥٠ هـ) والاصل للمحقق الكركي ، منه نسخة كانت لدى الشيخ محمد صالح الجزائري مؤرخة ٩٨٠ .

❖ حاشية على المجسطي

❖ حاشية على تفسير البيضاوي

- ❖ حاشية على كتاب الاشارات ❖ شرح تحفة شاهي
- ❖ رسالة بالكي (أي المحفة بلغة الهند) صنفها اثناء الطريق على المحفة .
- ❖ الوثيقة في شرح (الشافية) في علم الصرف لأبن الحاجب منه نسخة مخطوطة عام ٩٥٤هـ موجودة في المكتبة الرضوية بمشهد بخط عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن .
- ❖ انموذج العلوم منه نسخة بمكتبة راجه سيد مهدي بفيض آباد .
- ❖ حواشي على الشفاء والمطول والمحكمات والمطول وكلشن راز وغيرها .
- ❖ كما كان شاعراً ، لكن لم تصلنا مجموعة شعرية خاصة به وهناك بعض القصائد المتفرقة، منها قصيدة في وصف الحديقة الكبرى التي امر بإنشائها برهان نظام شاه واسمها (باغ فرح نجش) .
- ومن شعره هذا البيت :
- در غم اولدت عيش از دل نـاشادرفت خو بغم كرديم جنـدا ني كه عيش از يـاد رفت
- ومنه ايضا :
- مطلع ايجاد احمد حسن مطلع بو تراب هفت بيت اهل بنتيش شاه فرد انتخاب زار بد است
- ومنه ايضا :

مرتضى آل كه شه مسند عالي نسبي است ستم بردل افكار بد است
آفتا بيست كه برج شرفش دونس نبى است

الامامة الاسماعيلية من بعده

قلنا ان الامام طاهر شاه نص على امامة ولده من بعده حيدر شاه ، وهو أكبر اولاده الذكور وعددهم اربعة مع حيدر شاه المذكور ، والبقية هم : رفيع الدين حسين شاه ، ابو الحسن شاه ، ابو طالب شاه بالاضافة الى اربعة بنات .

ولد حيدر شاه بمدينة أحمد نكر وتوفي بأورنك آباد ، وسافر في شبابه الى ايران بطلب من الشاه طهماسب الصفوي ، وكلفه بسفارة الى الهند .

ومن بعده تولى الامامة ولده صدر الدين ، والذي ولد في اورنك آباد ومات فيها وكان كأبيه سفيراً لإيران ، ثم ولده معين الدين الذي ولد بأحمد نكر وتوفي بها ثم ولده عطية أو خدائي بخش وكان منتقلاً بين أحمد نكر وبدخشان وايران ثم عاد الى بدخشان ومات بها ، ومن بعده عزيز شاه المعروف بـ (الخدائند) المولود في أحمد نكر ، ولهذا الامام كتاب مذكرات مفقود حالياً ، وبعد وفاته تولاهما ولده معين الدين الملقب بالامير المشرف ، وهناك كتاب منسوب له عنوانه (لمعات الطاهرين) ويحتوي على ١١٦ صفحة باللغة الفارسية .

وقام من بعده ولده حيدر المولود بأورنك آباد والمتوفي بأحمد نكر .

ثم تولى الامامة ولده الامير محمد الباقر المولود بأورنك آباد سنة ١١٧٩ وهو آخر الائمة من الفرقة المؤمنية الممثلة للتعاليم الاسماعيلية الاصيلية وبموته خلال اوائل القرن الثالث عشر الهجري دخلت هذه الدعوة في دور السתר مع ازديار النفوذ الانكليزي في الهند . لكن اتباع هذا الفرع من الاسماعيلية ما يزالون حتى اليوم في مصياف وقدموس وبعض قرى الاسماعيلية في السلمية من (سورية) وبعضهم في أذربيجان ، وتلاشت اعدادهم مع ظهور الاغا خانية وتحول

أكثر المؤمنين إلى الفرع الأغاخاني بعد أن نفذ صبرهم من اللقاء بامامهم الذي ما زال في دور الستر ، ومعلوم أن ذرية قاسم شاه أخ مؤمن شاه والأبن الثاني لشمس الدين تناسلت وكثرت ولكنهم لم يقوموا بدور كبير حتى ظهور حفيدهم شاه حسن علي (الأغا خان الأول) الذي غادر إيران ونزل الهند حيث أسس دعوته على أساس الانتساب للفرع القاسمي (أحفاد قاسم شاه) . ومن الدلائل التاريخية على الصلات الوثيقة بين آخر أئمة المؤمنين محمد الباقر المذكور وبين أتباعه وخاصة في سورية، وجود فرمان مرسل من أورنگ آباد سنة ١٢١٠ هـ عليه خطه وفيه اعتراف بوصول ثلاثة رجال من قدموس سورية حاملين الزكاة المرسله من الطائفة وهم : حاج عبد الله حيدر، وحاج علي سلهب، وحاج أحمد بن قاسم أحمد . ولكن.. وبعد هذا الشاهد الموثوق به من الصلة الروحية بين الامام وأتباعه كيف واجه المؤمنين غيبة امامهم ؟ هذا السؤال طرحته على الصديق العلامة الاسماعيلي عارف تامر عام ١٩٩٠ فاجابني قائلا :

«بعد فترة طويلة من هذا الغياب ارسلت الاسماعيلية إلى الهند وفدا للتفتيش عن الامام الغائب ودعوته ولكنهم لم يجدوا أي اثر ولكنهم وجدوا دعوة جديدة اسماعيلية يقودها الامام حسن علي الذي هاجر من إيران واقام دعوته التي قوامها من الهندوس وهو سلالة قاسم شاه. وعند وصولهم عقدوا اجتماعا وعرضوا بانهم لم يجدوا دعوة مؤمن شاه، وانما وجدوا دعوة شاه حسن علي المشهور بانه من ولد قاسم شاه واسمه آغا خان الثاني. وبعده جاء سلطان محمد آغا خان الثالث ، وبعده جاء كريم شاه آغا خان الرابع وهو ابن علي خان الذي أبعد عن الامامة. ودعوة آغا خان عمرها ما يقارب التسعين عاما فقط..»

ولكن كيف اختفت آثار تلك الأسرة الكبيرة وسط عدد هائل من اتباع المؤمنين ممن يدينون لها بالحب والولاء والتبعية المذهبية ، وهل جرت محاولات للكشف عن هذه الأسرة ، اجابني الدكتور عارف تامر ايضا :

«زرت احمد نكر وبيجاپور وحيدر آباد ولكن لم أجد من يعرف شيئا عن هذه السلالة عثرت على قبر في مدينة أحمد نكر مكتوب عليه شاه حيدر ، ولكن لم أتأكد اذا كان هو نفسه ابن شاه طاهر ، فقد توارت الذكريات وكل شيء مع كل اسف فالمدينة ليس فيها سوى البهرة (فرع آخر من الاسماعيلية) والشيعه الاثني عشرية». انتهى قول الأستاذ عارف تامر .

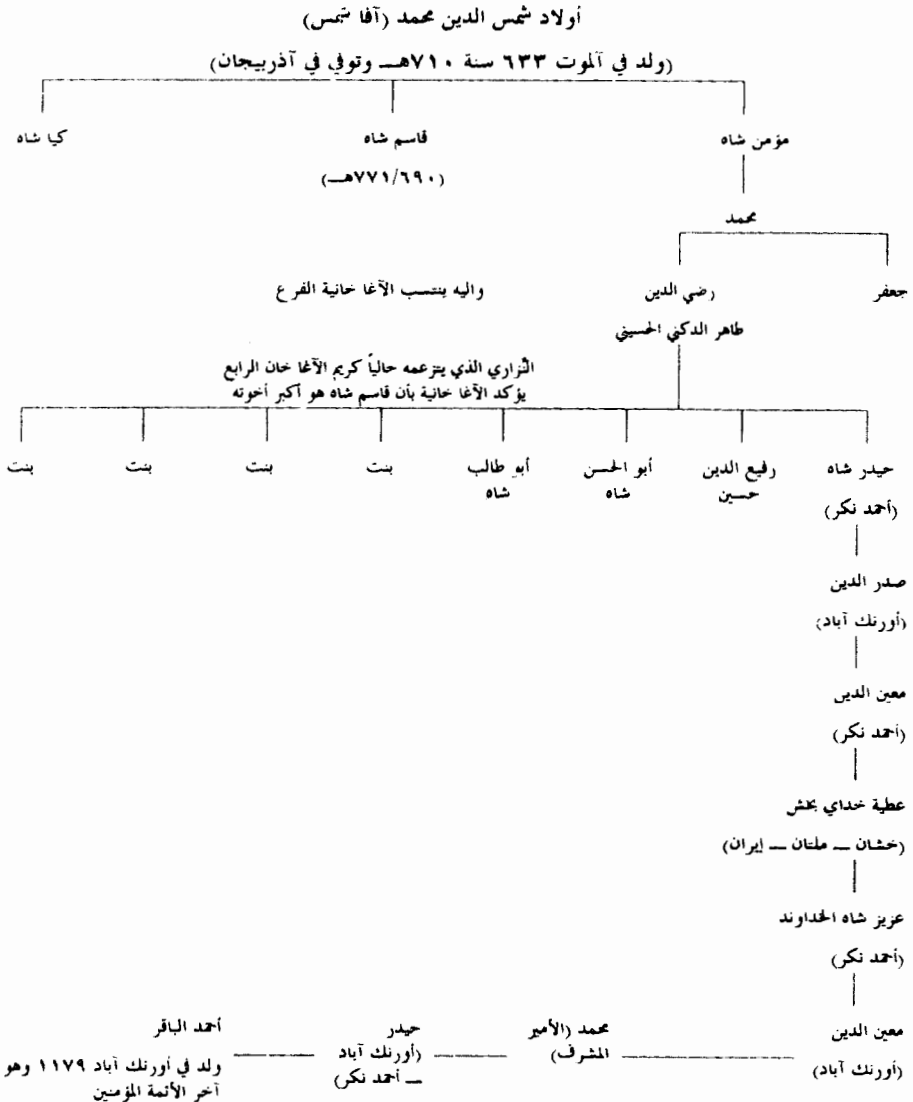
وواقع الحال ان اسرة الامامة المؤمنين موجوده في الهند حاليا ولها جذور في جلنكي . تل شيري . ميسور . منكرور . ايلور . اركات ، ولها امتدادات ضمن مقاطعتي مدراس وكرناتكا . وبتكليف من (أنصار المؤمنين) جلت في تلك الأنحاء ، ووضعت يدي على أول الخيوط الموصلة إلى الامام وما تزال المحاولات مستمرة والنتائج قيد البحث.

مخطط اولي لعائلة طاهر شاه الدكني

شمس الدين محمد بن ركن الدين خيرو شاه بن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن بن محمد بن حسن بن حسن القاهر ، بن محمد المهدي بن علي الهادي بن نزار المصطفى بالله بن معد ابو تميم المستنصر بالله بن ابي حسن علي الظاهر لاعزاز دين الله بن ابي علي منصور

الحاكم بامر الله بن نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله بن محمد القاسم بأمر الله بن محمد المهدي عبيد الله بن الحسين عبد الله الرضي بن احمد محمد التقي بن عبد الله أحمد الوفي بن محمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين ابن الامام الحسين السبط بن الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام .

(أولاد شمس الدين)



المسابق الأول
السابق إلى الفعل
الذي هو كماله
الثاني

كانت وجرد عالم الادب معاً على هذه
الهيئة رفعة واحدة من هذه
النفط حقه سبق من الدول
الى الفعل فانفرد برحمة وبنائه
اشياء فانفروا بنائهما وكان كل
واحدة من اول العالم على ما
سئلناه وانقسم العالم هكذا .

الهيئة الأولى
القائم بالفعل سبقه
الاسبق على لبق

عقل
انبت باجابه
ومن معه

عقل
من غيرهم

عقل
منه من
في ذاته

عقل
منه من
اجابه باجابه

رشد
انجابه

رشد
انجابه

رشد
انجابه

العاشرة

هكذا عاينوا الامر العقول المنكبة

الهيئة الثانية
القائم بالفعل سبقه
الاسبق على لبق

عقل
انبت باجابه
ومن معه

عقل
من غيرهم

عقل
منه من
في ذاته

عقل
منه من
اجابه باجابه

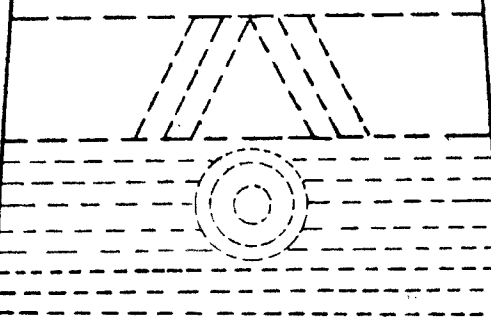
رشد
انجابه

رشد
انجابه

رشد
انجابه

رشد
انجابه

العاشرة



فصارت العقول المنكبة بالاجابة لعالم الامر
اصحاب الهيئة بأفعالهم انكبات الثاني والقسم
الثاني اصحاب الميرة اهل الكثافة بخلفهم
عن المحور بعالمهم والعاشرة آخر العقول في
العدد وأول عالم الخلق هكذا .

وهذا عالم الملائكة المنكبة التي هي اجابة لاول عالم الامر وهو العقل المنكبة وهو العقل
لبنه العالم بقدمه مقام الدولت في عالم الادب وهو آية العقول المنكبة ان شاربه على
التي هي عاينوا الامر العقول المنكبة

عقل المحيط
فلك
البروج
فلك
زحل
فلك
الشمس
فلك
المريخ
فلك
الزهرة
فلك
عطارد
فلك
القمر
عالم الكون